بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم وتمهيد

عزيزى القارئ ..

هذا الكتاب الذى بين يديك مرٌ عليه عامان وهو مخطوط . هذان العامان هما الفجوة الزمنية بين الفراغ من رصد المادة التى تحملها هذه الصفحات ، وبين خروجه مطبوعاً للقرّاء . وفى هذين العامين وقعت أحداث مهمة كان منهج هذه الدراسة يقتضى رصدها وتوظيفها لخدمة الأهداف التى وُضِع من أجلها هذا الكتاب ، وهذا التقديم رأيته ضرورياً لتفادى بعض التساؤلات التى ستفرض نفسها على القارىء لو خلا الكتاب من هذا التقديم والتمهيد . فمثلاً تم الفراغ من هذا العمل والشيوعية كانت تجود بأنفاسها الأخيرة ولم تمت . وقد صدر الكتاب والشيوعية قد لفظت أنفاسها الأخيرة ووورى عليها التراب فى غير انتظار لبعث . كما يُبعث الموتى الآخرون . وكنا قد تعرّضنا للحديث عن الشيوعية باعتبارها ظاهرة قائمة .

ومثلاً آخر .. سترى حديثاً فى هذه الدراسة عن أزمة لبنان وهى حقيقة ماثلة تتحرك على مسرح الحياة . والآن قد انتهت الأزمة فى أهم جوانبها .

وبقى جانب آخر من التوضيح ، فهذا الكتاب يخلو من الحديث عن حرب الخليج أو ما سميت بـ « عاصفة الصحراء » مع أن هذا الحدث الضخم كان مما يقتضى المنهج رصده ؛ لأنه من أحدث وأبرز خطط المواجهة التى واجهت بها أوروبا الإسلام . وعذرنا أن هذه الحرب لم تكن قد وقعت إلا بعد الفراغ من إعداد هذه الدراسة .

ولا يفوتنا الإشارة إلى الأحداث الضخمة التى أعقبت سقوط النظام الشيوعى . ومن أبرز هذه الأحداث أن أوروبا قد تفرَّغت الآن لمواجهة الإسلام ؛ لأنه - فى نظرها - قد أصبح هو المنافس الوحيد لأوروبا بعد انهيار الشيوعية . بل هو « العدو » الوحيد لها ، ولم يعد الأمر سراً ، بل قالوه بألسنتهم عياناً جهاراً . وبثُّوه عبر إذاعاتهم ، ونشروه فى صحفهم ، وعقدوا من أجله المؤتمرات . وبعضهم - وقد كان رئيساً أسبق للولايات المتحدة الأمريكية - قد ضمَّن كتاباً له فصلاً خاصاً عن العالَم الإسلامى بعنوان : « قنبلة تحت الانفجار » وبعد أن وضَحَّ أبعاد المشكلة مادياً ومعنوياً نصح أوروبا بأن تنهج نحو العالَم الإسلامى إحدى خطوتين :

إما أن تلاينه وتحتويه فى النظام العالَمى الجديد لتأمن خطره وتصطنع معه وحدة سلمية .

وإما أن تقضى عليه !!

وقد أشارت صحيفة الوفد المصرية الصادرة يوم ١٤ مايو ١٩٩٢ إلى الحملات البشعة التى تشنها أجهزة إعلام الغرب وبخاصة فرنسا وألمانيا وإنجلترا ضد الإسلام والمسلمين . وأن برقيات احتجاج من المصريين فى الخارج قد تكدَّست فى أمانة الجامعة العربية بالقاهرة . وبرقيات أخرى وردت إلى الخارجية المصرية ، يطلب أصحابها التدخل رسمياً للكف عن هذه الحملات .. كل هذا يجرى فى إطار مواجهة أوروبا للإسلام .

وما وقع فى الجزائر من التدخل الفورى لمنع الإسلاميين من الوصول إلى الحكم بعد الاستفتاء الذى حصلت فيه جبهة الإنقاذ الإسلامى على أغلبية المقاعد فى الجولة الأولى للانتخابات ، شاهد آخر لعداء أوروبا التاريخى للإسلام . ولولا مساعى أوروبا ، وبعض النظم العربية الموالية لها لما جرؤت حكومة الجزائر على إجهاض تلك التجربة الرائعة التى تدل على أن الشعوب الإسلامية لا تريد إلا الإسلام . ولكن النظم الحاكمة هى التى تحول دون هذه الرغبة لحاجة فى نفس يعقوب يدركها جميع الناس .

ومن الأحداث التى وقعت خلال الفراغ من هذه الدراسة وقبل طبعه : سقوط الحكومة العميلة فى كابول « أفغانستان » واستيلاء المجاهدين الإسلاميين على الحكم ، وعدم الارتياح الذى عَمَّ أوروبا لهذا الانتصار المعجزة . وبخاصة أمريكا التى تسعى الآن - لقيادة العالَم بمفردها . وهيهات هيهات لما تريد ، فما كان اللّه الذى فكَّ عن « رِقاب العالَم » أحد فكى الكماشة أن يترك الفك الآخر طليقاً مدى الدهر . ولكل أجل عند اللّه كتاب : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (١) .

أما فى الجانب العسكرى فإن ما تعرَّضت له البوسنة والهرسك ، لدليل آخر على نيَّة السوء التى تضمرها وتبديها أوروبا ضد الإسلام والمسلمين . وليس للبوسنة والهرسك ذنب سوى أنهم أرادوا العودة للإسلام بعد طول حرمان . لذلك تعرَّضت أرواحهم للإزهاق ، وحُرُماتهم للانتهاك ، وأموالهم وممتلكاتهم للنهب والتدمير ، ومساجدهم للتخريب : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ ﴾ (٢) ؟!

هذه الأحداث . وغيرها كثير ، مثل وضع بعض دول أوروبا سياسات جديدة وسن قوانين لمنع إقامة المسلمين بها - عرباً وغير عرب - هذه الأحداث وقعت بعد الفراغ من إعداد هذه الدراسة وهى شديدة الصلة بها فليعذرنا القارىء الكريم بعد هذا التوضيح .

* * *

● موضوع هذه الدراسة :

أما موضوع هذه الدراسة فهو فى إيجاز شديد : أن أوروبا منذ الحروب الصليبية قد أدركت قوة الإسلام . وأن المسلمين إذا أحسنوا صلتهم بالإسلام فلن تكون فى الأرض قوة تضارع قوتهم . رأوا ذلك جلياً فى دحر الناصر صلاح الدين

---

(١) المعارج : ٦ - ٧ (٢) البروج : ٨

لهم ، وطردهم من بيت المقدس بعد سبعين عاماً من بقائهم فيه ، ثم رأوا ذلك جلياً إبّان دولة الخلافة ، وكيف توحَّد المسلمون عرباً وغير عرب تحت لواء الخلافة الإسلامية . وقد صهرت عقيدة التوحيد المسلمين فى بوتقة واحدة .

وإزاء هذا كله ، مضموماً إليه تاريخ الإسلام فى الهند وفى أسبانيا قررت أوروبا التصدى للإسلام . وكان هدفها من هذا التصدى واحداً من ثلاثة أمور :

الأول : القضاء على الإسلام كليَّة إن أمكن .

الثانى : عزل الإسلام عن المسلمين إذا لم يمكن القضاء عليه .

الثالث : تحجيم الإسلام وحصره فى مناطق ضيقة والحيلولة بينه وبين الذيوع والانتشار .

هذه أهداف رئيسية سعت من أجلها أوروبا . والآن يتولَّد أمامنا سؤال ضخم ..

ما هى الوسائل التى سلكتها أوروبا خلال مائتين من السنين لتحقيق هذه الأهداف ؟

أما الجواب على هذا السؤال .. فهو هذا الكتاب كله . فقد تتبعنا فيه تلك الوسائل وسيلة وسيلة . ودعمنا القول بأقطع الأدلة مع ذكر بعض الوثائق التاريخية .

وسوف يرى القارىء كثيراً من المفاجآت التى تضمنتها الدراسة لا أريد الآن سوى مجرد الإشارة إليها حتى لا أقطع على القارىء لذة المتابعة والتمييز بين المفاجآت وغيرها من الأمور البديهة المسلَّمة ، وهدفنا من وضع هذه الدراسة - والله وحده يعلم ما عانينا فيها حِسْبة لوجهه - أن نضع الحقائق أمام الجيل الغيور على الإسلام ، حتى يتمكن من إبطال « مفعول » هذه الوسائل والخطط ؛ لأن الداء إذا عُرِف سهل وضع العلاج الشافى منه .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . وأن يجعله نبراس هدى لكل غيور على الإسلام ناصرٍ لله ورسوله .

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

البلد الطيب الأمين - مكة المكرّمة : فجر الأربعاء ١٦ من ذى الحجة ١٤١٢هـ .

الموافق (١٧ من يونية عام ١٩٩٢ م) - حى العزيزية .

عبد العظيم بن إبراهيم محمد المطعنى

* * *

(١) العنكبوت : ٦٩

obeikandl.com

obeikandl.com

توطئة

حين بعث اللّه خاتِم رسله محمداً ﷺ ، وأنزل عليه كتابه الخالد « القرآن الكريم » وتحددت معالم الرسالة الخاتمة التى جاء بها « الإسلام » ، منذ ذلك الحين عادى الإسلام طوائف من الناس ، وقعدوا له بكل مرصد ، يصدون عن سبيل اللّه مَن آمن به ويبغونها عوجاً .

عاداه مشركو العرب من مكة ، أم القرى وما جاورها . وكان لعدائهم إياه أسباب ومبررات زيّنها لهم الشيطان .

وعاداه اليهود المقيمون بشبه الجزيرة فى يثرب ، وكان لعدائهم إياه أسباب ومبررات زيّنها لهم الشيطان .

ثم عاداه النصارى - فيما بعد - وكان لعدائهم إياه أسباب ومبررات زيّنها لهم الشيطان .

وعاداه الفُرس الوثنيون - كذلك - وكان لعدائهم إياه أسباب ومبررات زيّنها لهم الشيطان .

ثم عاداه الروم ، وكان لعدائهم إياه أسباب ومبررات زيّنها لهم الشيطان .

وتلك الأسباب والمبررات التى حملت تلك الطوائف على معاداة « الإسلام » تجمعها رابطة واحدة ، وإن تعددت تلك الأسباب واختلفت من فريق إلى فريق [1] . أنهم - جميعاً - كانوا على باطل والإسلام جاء بالحق . جاء ليقرر حق اللّه

---

(١) لم نذكر تلك الأسباب خشية الإطالة وهى إما دينية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . وقد يجتمع سببان أو أكثر فى الطائفة الواحدة .

الذى طالما نادت به رسله ، وليدحض باطل الناس على أية صورة كان ذلك الباطل ، ومهما كانت القُوَى التى تحميه .

وآمن بالإسلام فتية زادهم اللّه هدىً وباعوا الدنيا بالدين ، وأخلصوا للّه ولرسوله ، وللحق الذى جاء به . ولم يخشوا مواجهة جحافل الباطل ، وكان الموت فى سبيل اللّه أحب إليهم من الحياة وإن ملكوا ما على الأرض جميعاً . فالدنيا زائلة ، وما عند اللّه باق : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ، وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

* * *

(١) التوبة : ١١١